محمد عطية الإبراشى

مكتبة الطفل

الحريّة فى بُحيرة القمر

ملتزمة الطبع والنشر مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقى (الفجالة) بالقاهرة

مكتبة الطفل

الحرية فى بحيرة القمر

بقلم
محمد عطية الإبراشى

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

دار مصر للطباعة
٣٠٠(٦) شارع كامل صدقى - الفجالة

القصـة الأولى

الحرية فى بحيرة القمر

كانَ رَئيسُ الأَفْيالِ يَعيشُ فى غابةٍ وَاسِعَةٍ ، كَثيـرَةِ الأَشجارِ ، وَمَعَهُ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الفِيلَةِ الكَبيرَةِ والصَّغيرَةِ . وَقَدِ اعتادَت الأَفيالُ أَن تَعيشَ مَعَ رَئيسِها فى الغابَةِ ، وَتَنامَ تَحتَ الأَشجارِ الضَّخمَةِ فى الظِّلِّ عِندَما تَشتَدُّ حَرارَةُ الشَّمسِ نَهاراً . وَحينَما يَظهَرُ القَمَرُ لَيلًا تَذهَبُ لِتَلعَبَ وَتَستَحِمَّ فى البُـحَيراتِ وَالنُّهَيـرَاتِ العَميقَـةِ ذَاتِ الماءِ البارِدِ ، وَتَتَمَرَّغُ هُنا وهُناكَ فَوقَ الطِّمـيِ حَتَّـى يَبتَلَّ الشَّاطِئُ الَّذى حَولَ البُـحَيراتِ وَالمُستَنقَعـاتِ . وَإِذَا أَحَسَّتِ الفِيلَةُ بالجوعِ أَكَلَت ما تَحتاجُ إِلَيْهِ مِن الطَّعامِ فى ضَوءِ القَمَرِ .

وَذاتَ مَرَّةٍ اِنقَطَعَ ماءُ المَطَرِ فى الغابَةِ ، وَقَد مَرَّت أَيامٌ

وَأَسابيعُ وَلَم تُمطِر السَّماءُ . وَاشتَدَّت حَرارَةُ الشَّمسِ يَوماً بَعدَ يَومٍ حَتَّى صارت مُحرِقَةً . وَبِمرورِ الأَيامِ جَفَّت البُحَيراتُ الكَبيرَةُ ، وَالمُستَنقَعاتُ وَالتُّرَعُ الصَّغيرَةُ ، وَجَفَّ الطَّمىُ المُبتَلُّ ، وَجَفَّت الجُذورُ والنَّباتاتُ الخضراءُ مِن شِدَّةِ العَطَشِ .

وَحينَما اشتَدَّت الحالُ ، وانقَطَعَت المياهُ رَفَعَ كَبيرُ الأَفيالِ رَأسَهُ القَوِىَّ ، وَخُرطومَهُ الطَّويلَ ، وَحَرَّكَ أُذُنَيْهِ ، وَنادَى جَميعَ الفِيَلَةِ المُتَوَحِّشَةِ بِأَعلَى صَوتِهِ . سَمِعَت الفِيَلَةُ صَوْتَهُ فى الغابَةِ ، فَأَتَت جَميعُها لِتَرَى ما حَدَثَ ، وَتَعرفَ ما يُريدُهُ كَبيرُها . وَوَقَفَت الفِيَلَةُ أَمامَهُ ، وَأَحنَت رُءوسَها وَآذانَها احتِراماً لَهُ .

فَقالَ لَها كَبيرُ الأَفيالِ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ : لَقَد انقَطَعَت المِياهُ ، وَجَفَّت البُحَيراتُ ، وَنَحنُ الآنَ فى خَطَرٍ مُحَقَّقٍ . وَيَجِبُ أَن نَحصُلَ عَلَى ماءٍ بِأَىِّ وَسيلَةٍ لِنَشرَبَهُ ، وَإِلَّا مُتنا جَميعاً مِن العَطَشِ. وَكُلُّنا نَعلَمُ أَنَّ الاستِحمامَ فى الماءِ البارِدِ فى
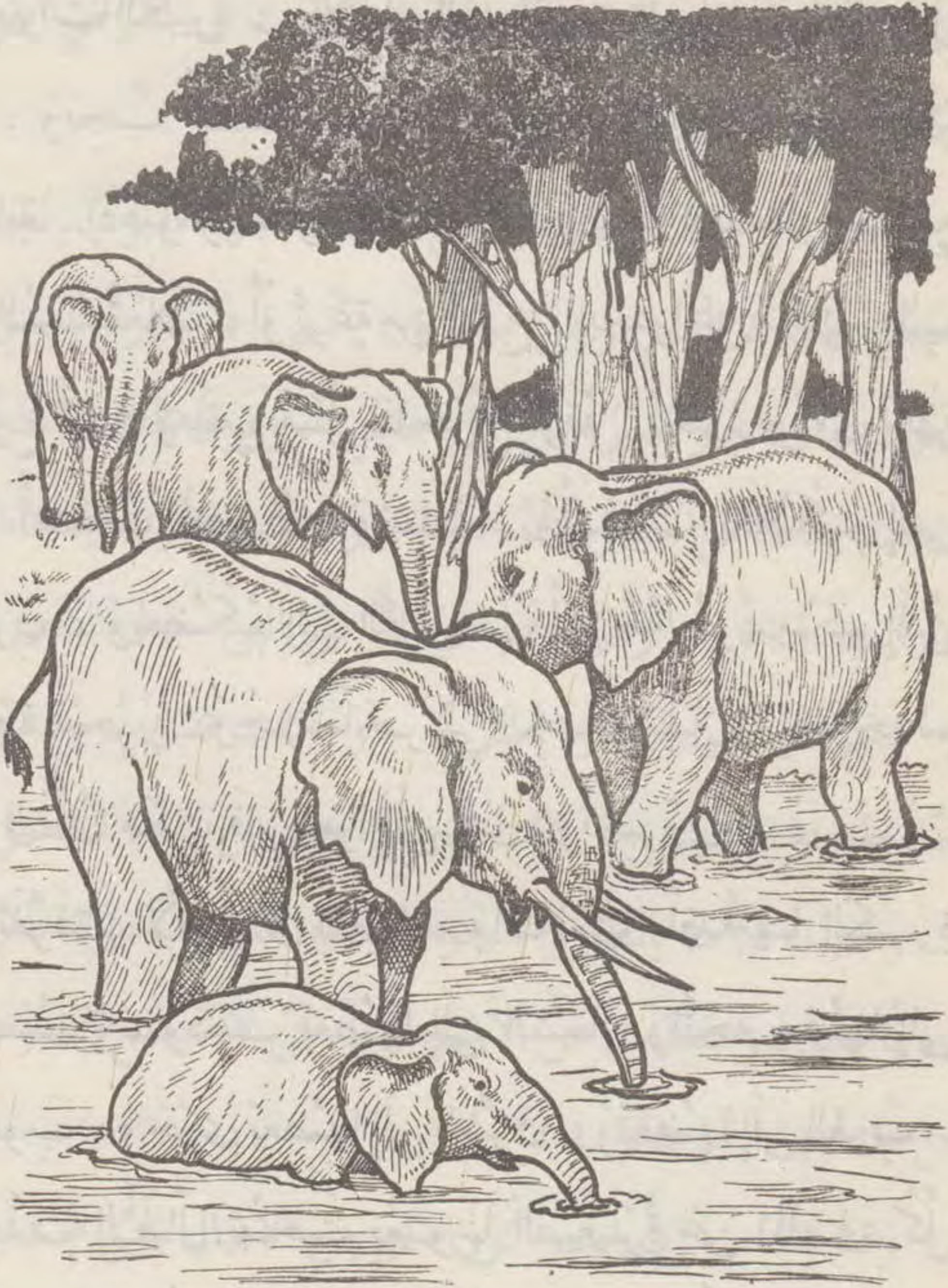
الأفيال الكبيرة والصغيرة فى الغابة ، تشرب من البحيرة

(الحرية فى بحيرة القمر)

البُحَيراتِ الكَبيرةِ ، وَالأَنهارِ العَميقةِ — ضَرورِىٌّ لِكُلِّ فيلٍ مِنَّا . وَيَجِبُ أَن نَتعاوَنَ فى البَحثِ عَن الماءِ فى كُلِّ مَكانٍ بالغابةِ . اِذهَبوا وَابحَثوا عَن بُحيرَةٍ مِن البُحَيراتِ ، أَو مُستَنقَعٍ مِن المُستَنقَعاتِ ، أَو تُرعَةٍ مِن التُّرع . اِبحَثوا عَن مَكانٍ رَطبٍ نَتَمَرَّغُ فيهِ ، وَطَمىٍ مُبتَلٍّ نَتَدَحرَجُ فَوقَهُ . اِبحَثوا عن أَىِّ جِهَةٍ بِها أَعشَابٌ خَضراءُ ، وَنَباتٌ . وَلْيَذهَبْ بَعضُكُمْ إِلَى الشَّرقِ ، وَبَعضُكُمْ إِلَى الغَربِ . وَلْيَتَوَجَّهْ جُزءٌ مِنكم إِلَى الْجِهَةِ الْبَحرِيَّةِ ، وَجُزءٌ آخَرُ إِلَى الجِهَةِ القِبلِيَّةِ ، وَإِذا وَجَدتُم مَاءً فى أَىِّ مَكانٍ فَارجِعوا إِلَى هُنا ، وَأَخبِرونى .

تَفَرَّقَت الأَفيالُ فى الغابَةِ ، وَاقتَحَمَتها بِأَقدامِها الكَبيرَةِ المُستَديرَةِ ، وَذَهَبَ بَعضُها إِلَى الشَّمالِ وَاتَّجَهَ بَعضُها إِلَى الجَنوبِ ، وَجَرَى بَعضُها إِلَى الشَّرقِ ، وَبَعضُها إِلَى الغَربِ . وَأَخَذَت الأَفيالُ تَبحَثُ بِعُيونِها الصَّغيرَةِ عَن الماءِ فى كُلِّ مَكانٍ ، تَبحَثُ عَن بُحيرَةٍ مِن البُحَيراتِ ، أَو مُستَنقَعٍ مِن المُستَنقعاتِ ، وَعَن أَىِّ جِهَةٍ فِيها طَمىٌ أَو مَكانٌ رَطبٌ .

وَبخراطيمِها الطَّويلَةِ القَوِيَّةِ أَخذَت تَبحَثُ فى الأَرضِ طول الطَّريقِ عَن النَّباتِ الأَخضَرِ ، وَالأَرضِ المُبتَلَّةِ .

وَأخيراً وَجَدَت الأَفيالُ الَّتى ذَهَبَت جِهَةَ الغَربِ بُحَيرَةً تُسَمَّى بُحَيرَةَ القَمَرِ، وَهِىَ بحَيرَةٌ ، كَبيرَةٌ ، كَثيرَةُ العُمقِ ، تُحيطُ بِها أَشجارٌ كَبيرَةٌ من كلِّ جانِبٍ . وفوقَ تِلكَ الأَشجارِ عاشَت مِئاتٌ مِن الطُّيورِ المُختَلِفَةِ ، وَتَحتَها حَفَرَت مِئاتٌ مِن الأَرانِبِ جُحورَها وَسَراديبَها فى الأَرضِ التى حولَ البُحيرَةِ .

فَجَرَتَ نَحوَ البُحَيرَةِ مُسرِعَةً ، وَمَكَثَت تَشرَبُ وَتَشرَبُ مُدَّةً طَويلةً ؛ لِتُزيلَ ما كانَت تُحِسُّ بِهِ ، مِن شِدَّةِ العَطَشِ .

وَحينَما رَأَت الطُّيورُ هُجومَ الفِيلَةِ عَلَى البُحَيرَةِ طارَت خَوفًا مِنها ، وَابتَعَدَت عَن الأَشجارِ ؛ كَىْ لا تَسمَعَ الضَّوضاءَ مِن أَقدامِها المُزعِجَةِ .

وَقَد تَأَلَّمَت الأَرانِبُ كُلَّ الأَلَمِ مِن الأفيالِ الَّتى أَتَت إِلَى بُحَيرَةِ القَمَرِ تَجْرِى ، فَقَد أَحدَثَت كَثيراً مِن الضَّوضاءِ . وَداسَت بِأَقدامِها فَوقَ جُحورِها وَسَرادِيبِها ، فَهَدَّمَتْها وَقَتَلت

كَثيراً مِن أولادِها ، وَضرَّت الأرانِبَ الصَّغيرَةَ وَالكَبيرَةَ ، وَحزِنَت الأرانبُ حُزناً شَديداً لِما لحِقها مِن ضَرَرٍ .

وَبعدَ أن انْتَهت الأفيالُ مِن الشُّربِ وَالِاستِحمامِ جرَت ، وَرَجَعَت بِسُرعَةٍ لِتُخبِرَ رَئيسَها عَن البُحيرَةِ التى كَشَفَتها وَوَجدَتها ، وَاستَمرَّت تَجرى حَتَّى وَصلَت إِليهِ ، فَانحَنت أمامَهُ بِآذانِها ، وَطأطأت رُءوسَها الكَبيرَةَ إِلَى الأرضِ احتِراماً لهُ ، وَقالَت : أيُّها الرَّئيسُ ، لقَد وَجدنا بُحيرَةً عَميقَةً عَذبَةَ الماءِ ، تسمَّى بُحيرَةَ القَمرِ ، وَحولَها كَثيرٌ مِن الأشجارِ الضَّخمَةِ الكبيرَةِ الَّتى نَستَطيعُ أن نَستَظِلَّ بِظِلِّها ، وَنَحمِىَ أَنُفسَنا تَحتَها مِن حَرارَةِ الشّمسِ .

فَسُرَّت الفِيلَةُ بِهٰذَا الْخبَرِ السارِّ ، وَارتَفَعَ صَوتُ الرئيسِ فى الغابَةِ ، وَقالَ : فَلنَذهَبْ جَميعاً إِلَى بُحيرَةِ القَمرِ . وَلِهٰذا اتجَهَت الأفيالُ كُلُّها إِلى بُحيرَةِ القَمرِ ، وَحضَرَت مِن الشَّمالِ ، وَمِن الجَنوبِ ، وَمِن الشَّرق .

جَرَت الفيلَةُ بِسُرعَةٍ فى الغابَةِ الواسِعَةِ ، وَاستَمرَّت فى

جَرِيها حَتَّى وَصَلَت إِلَى بُحيرَةِ القَمَرِ .

الأَرانِبُ الَّتى حَولَ بُحيرَةِ القَمَرِ :

وَفى ذلِكَ الوَقتِ اجتَمَعَت الأَرانِبُ فى مُؤتَمرٍ بِرِياسَةِ كَبيرِ الأَرانِبِ ، صاحِبِ الأُذُنَين الطَوِيلَتَينِ ، لِلتَّشاوُرِ فى أَمرِها ، وَالتَّفكيرِ فيما أَصابَهَا بِسَبَبِ اعتِداءِ الفِيلَةِ عَلَى كَبيرِها وَصَغيرِها . وَحَضَرَت الأَرانِبُ كُلُّها مِن سَراديبِها وَجُحورِها المَحفورَةِ تَحتَ الأَرضِ قُربَ البُحَيرةِ . وَقَد جَلَسَ كبيرُ الأَرانبِ عَلَى تَلٍّ مُرتَفِعٍ ، وَبَقِىَ ساكِناً هادِئاً ساكِتاً كَالحَجَرِ ، يَستَمِعُ إِلَى شكوَى رَعِيَّتِهِ مِن الأَرانِبِ ، وَيَنظُرُ بِعَينَيهِ الواسِعَتَينِ الكَبيرَتَينِ البَرَّاقَتَين ، وَيرفَعُ أَنفَهُ إِلَى أَعلَى مَرّةً وَيَخفِضُهُ إِلى أَسفَلَ مَرَّةً أُخرَى . وَقَد تَأَلَّمَ كُلَّ الأَلَمِ لِما حَدَثَ لَهَا مِن ظُلمٍ وَقتلٍ وَاعتداءٍ ، وَشارَكَها فى حُزنِها عَلَى ما ماتَ مِن أَولادِها ، وَعَلَى ما جُرِحَ مِنها ، وَما أَصابَها مِن ضَرَرٍ كبيرٍ .

وَقَفَ كَبيرُ الأَرانِبِ وَقالَ : إِنِّى أَسمَعُ وَقعَ أَقدامِ الأَفيالِ

المُتَوَحِّشَةِ ، وَهِىَ آتِيَةٌ ، أَسمَعُ أَصواتَ أَقدامِها المُستَديرَةِ الكَبيرَة . وَستكونُ هُنا فى بُحيرَةِ القَمَرِ بَعدَ قَليلٍ . وَلَن أَسمَحَ لَها بِهَدمِ بيُوتِنا ، وَتحطِيم جُحورِنا ، وَقَتلِ أَولادِنا . فَاطمَئِنى أَيَّتُها الأَرانِبُ ، فَإِنى سَأَحرُسُكِ ، وَسَأَعتَنى بِكِ . وَلن أَسمَحَ لِلأفيالِ بِأَن تَضُرَّكِ أَو تَدوسَكِ بِأَقدامِها . اِرجِعى إِلَى جُحورِكِ وبُيوتِكِ . اِنزِلى إِلَى أَعمَقِ جُزءٍ فى سَراديبِكِ الَّتى تَحتَ الأَرضِ ، وَامكُثى هُناكَ ، حَتى أَدعوَكِ وَأُنادِيَكِ ثانِيةً ، كَىْ لا يُصيبَكِ أَىُّ ضَرَرٍ .

سَمِعَت الأَرانِبُ كلامَ رئيسِها ، وَأَطاعَت نَصيحَتَهُ ، وَأَحنَت رُءوسَها احتِراماً لَهُ ، لإِخْلاصِهِ وَشَجاعَتِهِ ، وَصَوابِ رَأيِهِ ، وَذَهَبَت وَهى مُطمَئِنَّةٌ كُلَّ الِاطمِئنانِ ، وسَكَتَت الأُمَّهاتُ عَن البُكاءِ ، وَرَجَعَ الآباءُ وَالأُمَّهاتُ إِلَى مَخابِئِها المحفورَةِ تَحتَ الأَرضِ ، وَالَّتى تبعُدُ كَثيراً عَن سَطحِ الأَرضِ ؛ لِتَكونَ فى مَكانٍ أَمينٍ ، لا يُصيبُها فيه أَىُّ ضَرَرٍ .

استَمرَّت الأَفيالُ فى جَرْيِها حَتَّى قَرُبَت مِن جُحورِ الأَرانِبِ

الأرانب مجتمعة ورئيسها يخطب فيها

بالقُربِ مِن بُحَيرَةِ القَمَرِ . وَفى الوَقتِ الَّذى وَصَلَت فيه الأرانِبُ إِلَى مَخابِئِها العَمِيقَةِ تَحتَ الأرض — أَتَت الفِيَلَةُ يَتقدَّمُها رَئيسُها إلِى الأشجارِ الضَّخمَةِ الَّتى حَولَ البُحيرَةِ . وَاقتَرَبَ كَبيرُ الفِيَلَةِ مِن بُحَيرَةِ القَمَرِ بأَقدامِهِ الكَبيرَةِ .

فَصاحَ صاحِبُ الأُذُنَيْنِ الطَّويلَتينِ ، وَهُوَ كَبيرُ الأرانِبِ ، وَقَالَ بِصَوتٍ مُرتَفِعٍ : « قِف فى مَكانِكَ ، وَلا تَتحَرَّكْ أَيُّها الفيلُ الظالِمُ المُعتَدِى عَلَى غَيرِهِ . لِماذا أَتَيتَ إِلَى هٰذِه البُحَيرةِ ، وَلَيْسَ لَكَ فيها شَىءٌ ؟ هَل مَعَكَ تَصريحٌ بالمَجىءِ إِلَى هُنا ؟ ومَن الَّذى صَرَّحَ لَكَ بالحُضورِ إِلَى هٰذَا المَكانِ ؟ اِرجِعْ فى الحالِ إلِى المَكانِ الَّذى أَتيتَ مِنهُ » .

عَجِبَ كَبيرُ الأَفيالِ حينَما سَمِعَ ما قالَهُ كَبيرُ الأَرانِبِ ، وَوَقَفَ كبيرُ الفِيلَةِ ساكِناً ، وَسأَلَ الأَرنَبَ الصَّغيرَ الجِسمِ : مَن أَنتَ ؟ وَكَيفَ تَجرُؤُ عَلَى أَن تُخاطِبَنى بِهٰذَا القَولِ ؟

أَجابَ كبيرُ الأرانِبِ بِكُلِّ شَجاعَةٍ : أَنا أَرنَبٌ أَتَيتُ مِن مَملكَةِ القَمَرِ . وَقَد أَرسَلَنى القَمَرُ إِلَيكَ ، وَأَمَرَنى أَن أُبَلِّغَكَ
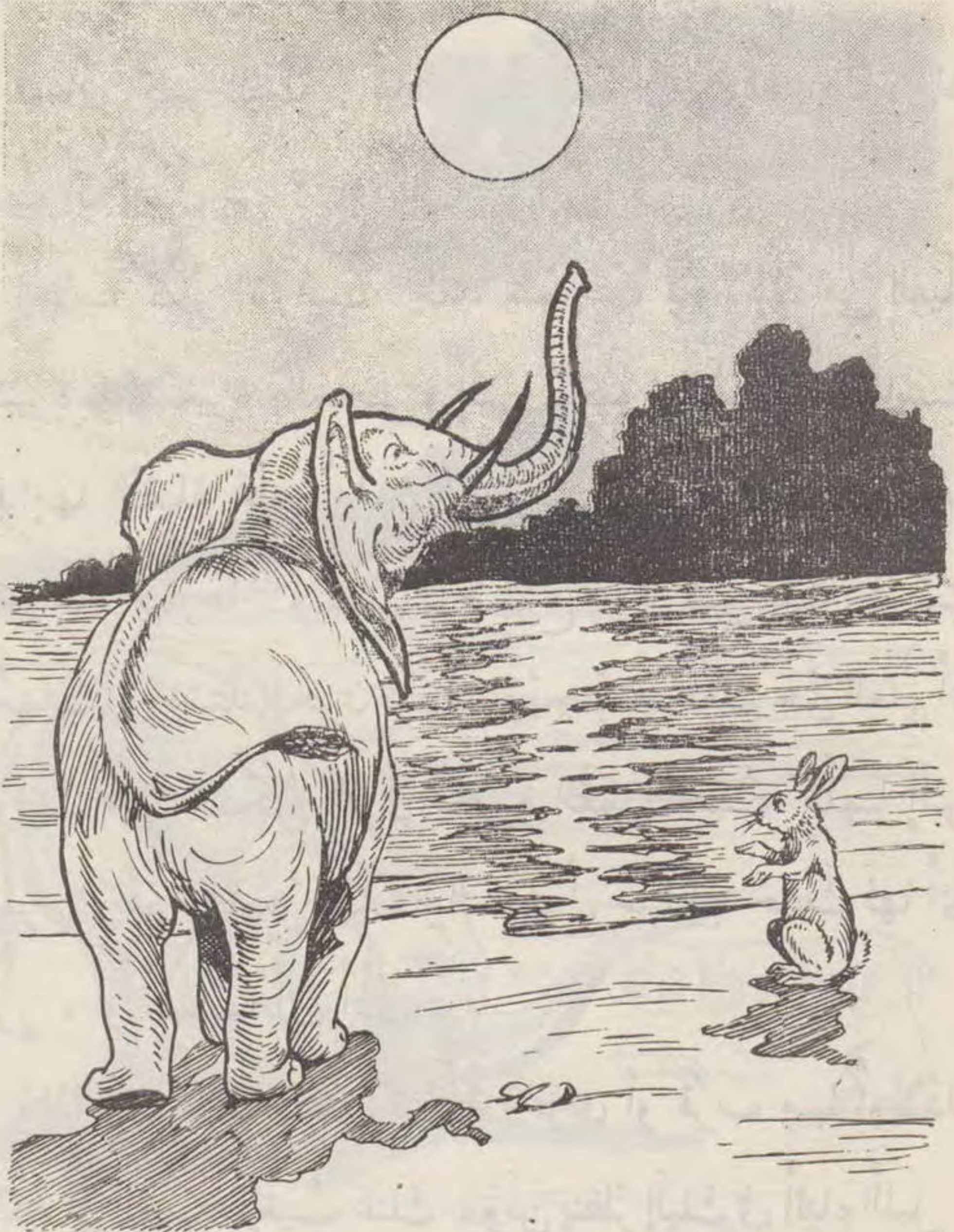
رئيس الأرانب يتكلم مع رئيس الأفيال

(الحرية فى بحيرة القمر) .

هـٰذِهِ الرِّسالةَ ، وَأَذكُرَ لكَ شَيئاً لَم تَعرِفْهُ مِن قَبلُ .

فَسَأَلَ كَبيرُ الفِيلَةِ : مَاذا يُريدُ القَمرُ أَن يُبَلِّغَنى ؟ وماذا يُحِبُّ أَن يقولَ لِى ؟

أَجابَ كَبيرُ الأرانِبِ : لَقَد سَمَحتَ لِأَولادِكَ مِن الفِيلَةِ الكَبيرَةِ وَالصَّغيرَةِ بالمَجىءِ إِلَى بُحَيرَةِ القَمرِ ، فَدَاسَت بأَقدامِها الثَّقيلةِ عَلَى أَرانِبِى الضَّعيفةِ ، وَقَتَلَت كثيراً مِن صِغارِها وَكِبارِها . وَكَسَرت ضُلوعَ عَدَدٍ كبيرٍ مِنها . فَبَكَت الأُمَّهاتُ ، وَاشتَدَّ الحُزنُ بَينَها . وَيَجِبُ أَن تَعلَمَ حَقَّ العِلمِ أَنَّ الأرانِبَ الَّتى تَسكُنُ حَولَ بُحيرَةِ القَمرِ تُنسَبُ كلُّها إِلَى القَمرِ ، وَهُوَ الحارِسُ لهَا ، وَالمَسئولُ عَنها إذا حَدَثَ لَها أَىُّ ضَرَرٍ ، أَو أَصابَهَا أَىُّ أَذًى .

وَإِذا قَرُبتَ مِن البُحَيرَةِ مَرَّةً أُخرَى أو قَرُبَ مِنها أَولادُكَ فَتأَكَّدْ أَنَّ القَمرَ سَيَغيبُ عنكَ ، وَلَن ينظرَ إِليكَ فى أَثناءِ اللَّيلِ ، ولَن يَنظُرَ إِلى أَولادِكَ ثانِيَةً ، وَلَن يَسمَحَ لَكَ بِأَن تَرَاهُ ، وَلَن يَسمَحَ لأَولادِكَ مِنَ الفِيلَةِ بِأَن تَنظُرَ إِليْهِ . وَسَينظُرُ إِلَى جِهَةِ
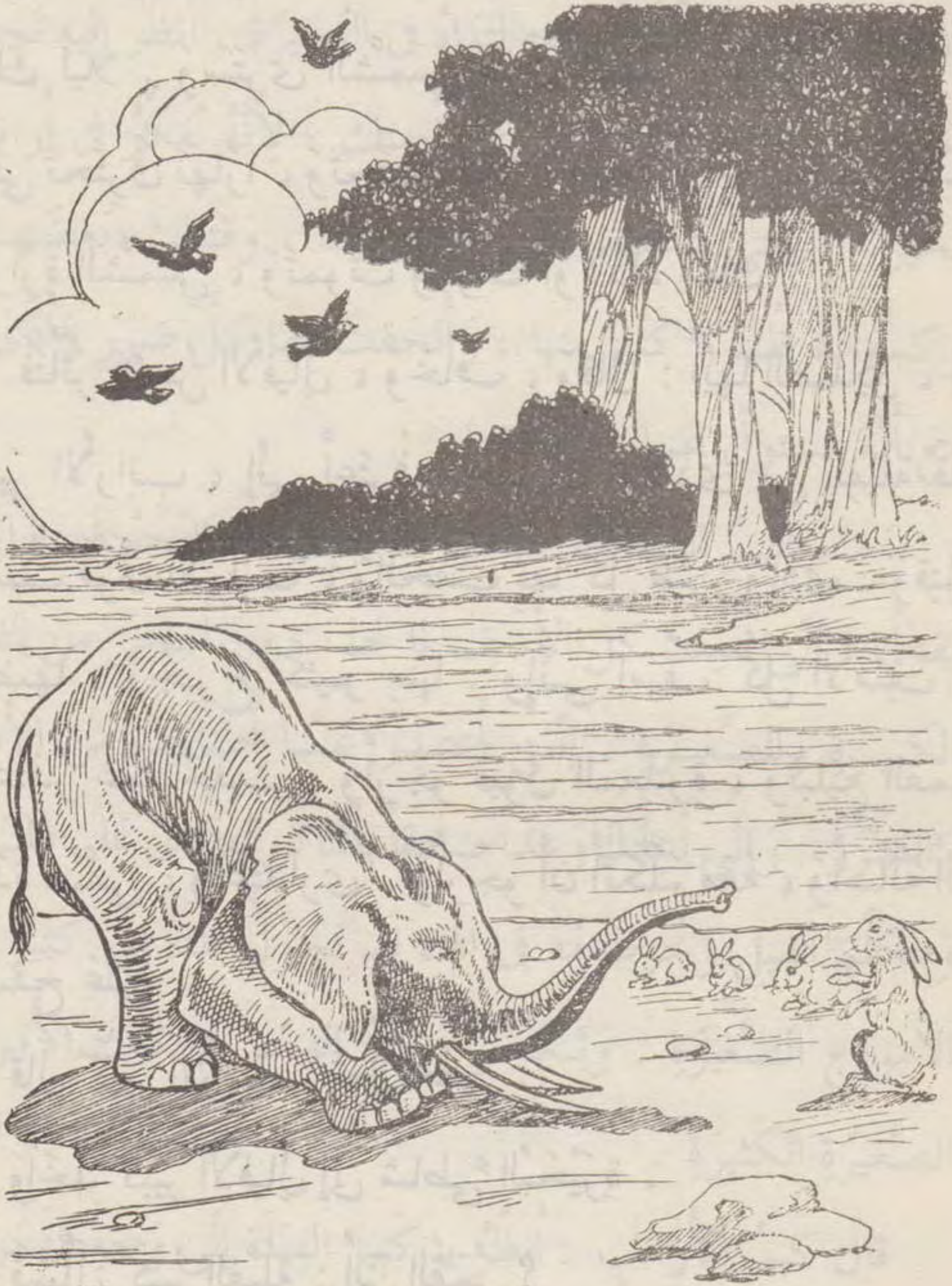
وضع الفيل خرطومه فى الأرض ، والأرانب حول البحيرة .

أُخرَى . وَستَكونُ النَّتيجَةُ ضارَّةً بكَ . فإنَّ القَمَرَ سَيَغيبُ عَنكَ لَيلًا . وَستَرَى الشَّمسَ طولَ النَّهارِ ، وَطولَ اللَّيلِ ؛ حَتَّى تَحترِقَ نَهارًا ، وَتَحترِقَ لَيلًا ، وَيَحترِقَ جِلدُكَ مِن شِدَّةِ حَرارَةِ الشَّمسِ ، وَتموتَ وَيموتَ أَولادُكَ مَعَك .

فَتَأَثَّرَ رَئيسُ الأفيالِ ، وَخافَ ، وَقالَ : أَيُّها الصَّديقُ ، يا كَبيرَ الأرانِبِ ، إنِّى أَعتَرِفُ حَقًّا أَنَّ أَولادِى مِن الفِيَلَةِ قَد داسَت فَوقَ الأرانِبِ ، وَأَلحَقَت بِها كُلَّ ضَرَرٍ وَأَذًى . وَقُتِلَ بَعضُها ، وَجُرِحَ كَثيرٌ مِنها . وَإِنِّى أَسِفٌ كُلَّ الأَسَفِ ، وَأَعتَذِرُ عَمَّا حَدَثَ . وَأَرجو قَبولَ المَعذِرَةِ ، وَتَبليغَ القَمَرِ شِدَّةَ أَسَفى ، وَاعتِذارى . وَأَرجو أَن أَتَكَلَّمَ مَعَهُ ، وَأَسأَلَهُ أَن يَصفَحَ عَنِّى .

قالَ كَبيرُ الأرانبِ : تَعالَ مَعِى .

وَأَخَذَ كَبيرَ الأفيالِ إلى شاطِئِ البُحَيْرَةِ .

فَسَأَلَ كَبيرُ الفِيَلَةِ : أَينَ القَمَرُ ؟

فَأَخَذَهُ كَبيرُ الأرانِبِ إلى البُحَيرَةِ ، وَأَراهُ القَمَرَ وَهُوَ

يُضىءُ ، وَقد ظَهَرت صورَتُهُ فى البُحيرَةِ . وَقالَ لَهُ : إنَّ القَمَرَ الآنَ فى البْحيرَةِ . انظر إليهِ لِتَراهُ فى البُحَيرَةِ . انظُرْ إليهِ تَجدهُ حَزيناً ، ساخِطاً عَلَيكَ ، مُتَألِّماً مِنك ؛ لِأَنَّهُ يُفكِّرُ فى أرانِبِ بُحَيرَتِهِ ، الَّتى دست عَلَى أَجسامِها ، وَقَتَلتَ بَعضَها ، وكَسَرتَ ظُهُورَ كَثيرٍ مِنها ، وَأَلحَقتَ بِها كلَّ ضَرَرٍ وَأَذَى ، مَعَ أنَّهُ مَسئولٌ عَنها .

وَضَعَ كَبيرُ الفِيلَةِ خُرطومَهُ الطَّويلَ فى ماءِ البُحَيْرَةِ ، وَأَخذَ يَقولُ : إنِّى أَسِفٌ كُلَّ الأسَفِ لما حَدَثَ مِن أَتباعِى مِن الفيلَةِ الكَبيرَةِ وَالصَّغيرَةِ . إنِّى أَعتَذِرُ عَمَّا أَصابَها مِن الأَذَى وَالضَّرَرِ . وَإنِّى أَعِدُكَ وَعداً صادِقاً بأَنَّنا لَن نَعتَدى عَلَيها ثانِيَةً . وَبِتَكَلُّمِ الفيلِ وَخُرطومُهُ فى الماءِ قد تَحَوَّلَ الماءُ إلى كَثيرٍ مِن الأَمواجِ الصَّغيرَةِ . وَتَكَسَّرَ وَجهُ القَمَرِ فى تِلكَ الأَمواجِ الصَّغيرَةِ الكَثيرَةِ .

قالَ كبيرُ الأَرانبِ : انظُرْ يا كَبيرَ الفِيلَةِ إلَى وَجهِ القَمَرِ فى البُحَيرَةِ . إنَّ وَجهَ القَمَرِ يَتحَرَّكُ . إنَّ القَمَرَ مُتأَثِّرٌ مِنكَ ،

وَمُتألِّمٌ كُلَّ الألَمِ . إنَّهُ غضبانُ جِدًّا لِما حَدَثَ مِنكَ .

سَأَلَ كَبيرُ الفِيلَةِ : لماذا أَرَى القَمر مُتَأَثِّرًا ، وَما السَّبَبُ فى تَألُّمِهِ وَغَضَبِهِ ؟ وَماذا حَدَثَ مِنِّى ؟

أَجابَ كَبيرُ الأَرانِبِ : لَقَد حَرَّكْتَ مِياهَ بُحَيرَتِهِ بِخُرطومِكَ الطَّوِيلِ ، فَعَكَّرتَ المِياهَ ، وَأَحدَثتَ كَثيرًا مِن الأمواجِ الصَّغيرَةِ . فَأَسرِعْ وَاهرُبْ ، وَلا تَرجِعْ هُنا ثانيَةً ؛ كَى لا يَغضَبَ القَمَرُ وَيَتَحَوَّلَ وَجهُهُ عَنكَ .

خافَ كبيرُ الأفيالِ غَضَبَ القَمَرِ ، وَأمالَ أُذُنَيهِ الكَبيرَتَينِ جِهَةَ الأرضِ ، وَأَحنَى رَأسَهُ ، وَقالَ : أَيُّها القمرُ : إِنِّى أَعتَذِرُ عَمَّا حَدَثَ . وَأَرجو العَفوَ وَالمغفِرَةَ . وَأَتَمَنَّى أَن تَكونَ عَنِّى راضِياً عَلَى الدَّوامِ . وَإِنِّى أَعِدُك بِأَنَّنا لَن نَأتِىَ إلى بُحَيرَتِكَ ثانيَةً . وَأَرجو أَلَّا تُحَوِّلَ وَجهَكَ عَنَّا مُطلَقاً . ثُمَّ نادَى أَولادَهُ بِأَعلَى صَوتِهِ لِلرُّجوعِ مَعَهُ إلى مَملكَةِ الأفيالِ .

سارَ كَبيرُ الأفيالِ ، وَسارَ أَولادُهُ وَراءَهُ . وَخَرَجَت بِلا رَجعَةٍ ، وَتَرَكَت بُحيرَةَ القَمَرِ لأَصحابِها ، وَلَم تَرجِعْ إليها .

وَأَصبَحَت الأرانِبُ آمِنَةً فى بُحَيرَتِها ، مُطمئِنَّةً فى حَياتِها وَبُيوتِها ، وَرجَعَت الفِيلَةُ المُعتَدِيَةُ المُغتَصِبَةُ إلى أَماكِنِها فى الغابَةِ الواسِعَةِ الخضراءِ . وَعادَت الطُّيورُ المُختَلِفَةُ إلى أَعشاشِها فى أَشجارِها حَولَ بُحيرَةِ القَمَرِ . وَعاشَت هادِئَةً مُطمَئِنَّةً . وَخَرَجَت الأرانبُ صغَيرُها وَكبيرُها مِن سَراديبِها الَّتى تَحتَ الأرضِ ، وَظهَرَت خارِجَ البُحيرَةِ كَما كانَت مِن قَبلُ . وَأُعلِنَت الأفراحُ لِخُروجِ الظَّالِمِ المُغتَصِب الَّذى كانَ يَحتَلُّ بُحيرَتَها ، وَيَعتَدِى عَلَيها ، وَيحرِمُها التَّمتُّعَ بِالحَياةِ وَالحُرِّيَّةِ فى الهَوَاءِ وَالطَّعامِ وَالشَّرابِ . وَلَم يَستَطِع الظالِمُ أَن يَقرُبَ ثانيةً مِن بُحيرَةِ القَمَرِ ، وَلَم يَجرُؤْ عَلَى التَّفكيرِ فى الرُّجوعِ إلَيها . وَعاشَت الأرانِبُ وَالطُّيورُ فى أَمنٍ وسَلامٍ ، وتَمَتَّعَت بِحُرِّيَّتِها الكامِلَةِ فى وَطَنِها العَزيزِ ، وَهُوَ بَحيرَةُ القَمرِ ، وَأَحسَّتِ بِلَذَّةِ الحُرِّيَّةِ وقالَت : ما أَجمَلَ الحُرِّيَّةَ !

القصة الثانية

همَّام الكشاف الشجاع

حينَما كانَ هَمامٌ تِلْمِيذًا صغِيرًا بِالمدارِسِ الابتدائيَّة كان يُحِبُّ الرِّياضَة البَدَنيَّة ؛ فإذا تَعَلَّمَ تَمريناً مِنهَا فى المدرسةِ ، وَذَهَبَ إلى بَيْتِهِ ـــ أعادَهُ وَكَرَّرهُ مرَّاتٍ حتى يَتَعوَّدَهُ ، ويُؤَدِّيَهُ أَحْسَنَ أداءٍ . وقد عُرِفَ فى صِغَرِهِ بِالْمَهارةِ فى الرِّياضةِ ، وفَازَ فى كَثِيرٍ مِنَ المسابقاتِ الرِّياضِيَّةِ .

وَلَمَّا تَقدّمَ إلى التَّعليمِ الإعدادىِّ وَالثانوىِّ أَعْجَبه نِظَامُ الْكَشَّافَة ، فانضَمَّ إلى فِرْقَةٍ ، وصار كشَّافاً ماهِراً . وكان يَذْهَبُ مع رفقائِهِ فى سياحاتٍ بَعِيدَةٍ ، ويُعَسْكِرُ مَعهم فى

الخلاءِ أياماً . وكَان مِن أحبِّ الأشْيَاءِ إليهِ حياةُ الْخِيامِ فى مُعَسْكرِ الْكشّافَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَجدُ فيها حَيَاةَ الْقُوَّةِ والشَّجَاعَةِ وَالإقدامِ ، والاستِعْدَادِ لِكُلِّ طارِئٍ .

وذَاتَ يَوْمٍ عَسْكَرَ مع فِرْقَةٍ فى الصَّحراء ، ونَصَبُوا خِيامَهُمْ ، ورَتَّبُوا أَمْتِعَتَهُمْ . ولَمَّا جاءَ اللَّيْلُ نامُوا فيها ، وقَسَّموا بينهم حِراسَةَ المعسكَرِ طولَ اللَّيل ، كما هِىَ عادةُ الكشّافةِ . وجاءَتْ نَوْبَةُ همَّامٍ وزميلِه إسماعِيلَ فى الْحِرَاسَةِ ، فكانا يَسيرانِ حَوْل المعسكَرِ ، وكانت اللَّيْلةُ مُضيئةً بنور القمرِ . وَلَما كَانَ هَمَّامٌ يَتَمَشَّى فى مِن المعسكَر ، رَأى ثُعْباناً كَبيراً يَزْحَفُ إلى جهَةِ الْخِيَامِ ، فَتقدَّمَ نحوَهُ وَلم يُفكّرْ فى قَتْلِه ، وَإنّمَا أَعَدَّ عَصَاهُ وَرَبطَ فى رَأْسِها الحبلَ ، لِتكونَ مِصْيَدَةً لِلثُّعْبَانِ ، كما تَعلَّم من قَبْلُ فى طُرُقِ صَيْدِ الحيوانِ ومُقاومَتِه .

ومدَّ الْعصَا وفى طَرَفِهَا الْحَبْلُ إلى رأسِ الثعبان ، فَلَمَّا صارَ رَأسُهُ فى الْحَبْل شدّةُ هَمامٌ ، فَرَبَطَ الثُّعبانَ الكبيرَ منْ رأْسِهِ ، وَرَبَطَ الْحَبْلَ فى وَتِدٍ ، وَترك الثعبانَ يتلوَّى ، ويُحاوِلُ أن يَتَخَلَّصَ مِنَ المِصْيَدَةِ فى غير فائِدَةٍ .

عِند الصَّباحِ رأى المعسكرون فَرِيسَةَ هَمَّامٍ وأَخذوا الثُّعبانَ أسيرًا ، وحَفِظوه بالطريقة التى تَعلموها ، وحَملوه فِى صُندوق مَعَهُم حتَّى يَجْعلوه فِى مُتْحَفِ المدرسةِ عند رُجوعِهم .

ولما أَتَمَّ هَمامٌ دِراستَه كانَ قد عَرف كثيرًا مِن صحارى مِصْرَ وجبالِهَا ، فَتعوَّدَ الإقامة فِيهَا ، وَمُقَاوَمَةَ أنواعِ الحيوانِ وصيدَها ، وكان قَوِىَّ الْجِسْمِ شُجاعاً ، كثيرَ الإقدامِ ؛ فأرادَ أن يقومَ بِرِحْلَةٍ بَعيدةٍ فى بِلادٍ مَجْهُولةٍ ليكونَ بِحقٍّ كشَّافًا .

كان هَمـامٌ قدْ قَرأَ كَثيراً عَنِ السُّودَانِ ، وَأراضيـهِ الواسِعَةِ ، ووحُوشِهِ المفترسةِ ، وأشْجَارِه الضَّخْمـةِ ، وغَاباتِه العظيمة ، فَرسَمَ طَريقَ رِحْلتِهِ فِى بِلادِ السُّودَانِ وأواسِطِ إفْرِيقيَّةَ ، وأعَدَّ أمْتِعتَه ، ورَكِبَ الْقِطارَ ، ثمَّ رَكِبَ سَفِينةً فِى النِّيل ، حتَّى كان فى وَسَطِ السُّودَانِ ، فَخَرَجَ إلى البَرِّ يرتادُ ، واصْطَحَبَ خمسةً من سُكانِ الْبِلادِ ليخدُمُوهُ وَيُسَاعِدُوهُ .

وفى يَوْمٍ من الأيامِ نَصبُوا الْخِيَامَ فوق تَلٍّ قريب مِن الماءِ ، وَذَهَبَ واحِدٌ مِن الخَمْسةِ بِقِرْبَتِهِ لِيمْلأَها ، وَبَقِى الأربعة مع هَمامٍ يُرَتِّبونَ الأمْتِعةَ ، وَيُعِـدُّونَ الطَّعَـام . والْتَفتَ هَمامٌ ، فَرَأَى الأربعةَ الَّذِينَ معه فَرُّوا فجأةً ، ورمَوْا ما بأَيديهِمْ إلى الأرْضِ ، وأسْرعوا يتسابَقون فى الهَرَبِ .

تعجَّبَ هَمامٌ من هذا الْفِرارِ السَّرِيعِ الفُجَائِيِّ الَّذِى لا

يَعرِف سَبَبَهُ . وحينما كانَ يَتلفَّتُ حوله رأى تِمساحا كِبيراً فاتحاً فَمَهُ ، فأسْرَعَ إلَى قَذَّافتهِ (بندقيته) وصوَّبَها إلى التِّمساحِ ، ورَماهُ فى فَمه ، فَرَجَعَ التمساحُ إلى الماءِ يَتخَبَّط ، ثمَّ عامَ عَلَى وَجْهِ الماء ، فعلِم هَمامٌ أَنَّهُ قد ماتَ ، وأخذَ قذّافَتهُ فى يَدِهِ وَتقَدَّمَ إلى الماء ليبْحَث عن الرجلِ الأسودِ الَّذِى ذَهَب إلى الماءِ بِقرْبَتِه ، فَوَجَدَهُ مُخْتَبئاً فى أعْشَابٍ عاليةٍ هناك ، لا يَسْتَطيعُ أن يَتحرَّك ، لِشِدَّةِ خَوْفِهِ من التمساحِ ، فأَخَذَه بيدِهِ ، وأَعادَهُ إلى الْخَيْمَةِ ، وهدَّأه وَقَوَّاهُ . ولما اطمأَنَّ سأَلَ عن زُملائِهِ الأرْبعة ، فقال له هَمام : « إنّهُمْ جَرَوْا كالرِّيح لما رَأَوُا التمساحَ » .

فقال الرجلُ الأَسْوَد : أَمَّا أَنَا فَإِنى لَنْ أتركَكَ أبداً . وسأبقى خادِماً لك لِأَنَّك خلّصْتَ حياتى وَنَجَّيْتَنى من الموت .

اكتَفَى هَمامٌ بصاحِبِهِ العَبد الأسْود ، وسارا مَعاً فى

الغاباتِ العظيمَة . هل تعلم كيف كانا يبيتانِ فِى هذهِ الغابةِ بين الحيوانات المختلِفةِ من حَشَرَاتٍ وسباعٍ ؟ كانا يربِطَانِ الْحِبَالَ فى شَجَرَةٍ عالية ، وَيَمُدانها إلى شَجَرَةٍ أُخرى ، وفى وَسَطِ الْحِبَالَ يربِطَانِ فَرْشَهُمَا ، فيكون كسَجَّادَةٍ مفروشةٍ فى الهواءِ مُعلقةٍ من جِهاتِهَا الأربع ، وهذا هو سريرُهما .

وكَان مِن الضَّرُورِىِّ أن يَنَامَ واحِدٌ فقط ، ويَبقَى الآخَرُ يَقظانَ لِلحراسةِ . وكان هُمامٌ مسروراً بهذه المعيشَةِ ؛ لِأَنَّهَا حياةُ جِهَادٍ وَشَجاعةٍ كما يُحِبُّ ؛ ولأَنَّهُ كان يرى كلَّ يومٍ مَنظَراً جديداً ، وأنواعاً جَمِيلَةً بَدِيعَةً من الحيوانِ والشَّجَر .

كان مرَّةً فوقَ شَجرةٍ يَربِط حَبلَه لِيُعِدَّ فِراشَهُ ، فلما رَبَطهُ وأرادَ النُّزولَ وجَد حَيَّةً كبيرةً تتسلَّقُ ساقَ الشّجرةِ حتى كان رأْسهَا قَريباً منهُ . لم يَنْزعِج هَمامٌ ، ولكنه نَظَرَ

همام يحاول ربط الثعبان من رأسه

إلى الأرْضِ حوله ، ثم وَثَبَ إليهَا ، وكان يُحْسِنُ الوثْبَ ، وتمرَّن عليه كثيراً من قَبلُ ، وعادَ بعصاهُ وحبلِه يَرْقُبُ الْحَيَّةَ ، وما زال يحتَال حتى صادَها ، وأخذها أسيرةً كما أَسرَ الثُّعبَانَ من قبل وهو صَغير .

وكان همامٌ قد سَمِعَ من أهْلِ هذه الْجِهةِ عن كَنزٍ مخْبوءٍ فى مَغَارةٍ بالْجَبَلِ ، وأَنَّ هذا الكنْزَ عليه حُرَّاسٌ مِن الْجِنِّ ، ولا يَسْتَطيعُ أحدٌ من النَّاسِ أنْ يَصِلَ إليْه ، فَرَغِبَ همامٌ فى أن يَسيرَ إلى هذا الكَنْزِ ، وَيكْشفَ حقيقتَه . وتقدَّم مع زَمِيلِه إلى الجبل الذى وصَفُوهُ حتى كَانَ قَرِيباً منه .

وفى لَيْلَةٍ كانا على سرِيرِهما المعلَّقِ ، والرجلُ الأسْودُ نائمٌ ، وهَمامٌ يَحرُسه . فلما انتهَتْ نَوْبةُ حراستِه أَيقظ الرجلَ الأسْوَدَ ونام ، ولكن لم يَنَمْ إلا قليلًا حتى استَيْقَظ فرأى رَجُلًا بِجوارِه يحمِلُه ، ونظرَ فإذا عمودٌ مِن

الرِّجالِ ، كلُّ رَجُلَيْن مُتقابلانِ ، وعَلى كتِفيهِما رَجُلان ، وكان أعلى رَجُلٍ هو الذى حَمَلَهُ مِن سَريرِهِ ، وصارَ كل رَجُلٍ يُسَلِّمه إلى مَن تحتَهُ حتى وضَعَه أَسْفَلُ رَجُلٍ عَلَى الأرضِ ، ونَظرَ هَمامٌ فوجَد الرجلَ الأسْودَ مُقَيَّدًا .

قَيَّدَ الرجالُ هَمامًا كما قَيَّدُوا الرجُلَ الأسْودَ ، ثم أحْضروا جِذعَينِ طَويلينِ مِن الشَّجَرِ ، ورَبَطوا هماماً فى جِذْعٍ ، والرجلَ الأسْودَ فى جِذْعٍ ، وحَمَل كلَّ جِذْعٍ مِن طَرفَيهِ جماعةٌ من الرِّجالِ ، وسارُوا بهمامٍ وخادِمه مُقَيَّدَيْنِ مربوطَينِ مَحْمولَيْنِ حتى وضَعوهما بحَضرةِ السُّلطَانِ أَسيرَيْنِ .

كان السُّلطَانُ رَجُلًا كَبيرَ السِّنِّ ، أَبيضَ الرّأْسِ والذَّقن ، يُحيطُ شَعْرُهُ الأبيضُ بِوَجْهِهِ الأسْودِ مِن كلِّ جِهَةٍ . وقد علَّقَ بِشَعْرِهِ وَدَعاتٍ إذا تَحَرَّك وجهُ السُّلطَانِ

تَحـرَّكت وتضارَبَتْ ، وأَسْمَعَتْ صَوتًا يُنبِّـه النـاس ويُخيفُهم مِن السُّلطَان . وكان فى عُنُقِه عُقودٌ مِن الوَدَعِ أيضًا ، أما لِبَاسُه فهو جِلدُ أسَدٍ يُحيطُ بوَسَطِه ، وقَد رُبِطَ بحزامٍ مِنَ الْجِلْدِ ، وعُلِّقَ فيه ودَعٌ كثير .

جلَسَ هذا السُّلطَان على صَخْرةٍ عاليةٍ تَحتَ شَجَرَةٍ كبيرةٍ ، وأَوْقَد أمامَه نارًا عظيمةً ، فيها كَثِيرٌ من البَخُورِ يَصْعَدُ دُخانُه إلى السَّماءِ . ووَقَـفَ أمامَـه صَفّـانِ مِن جُنودِه ، بِيَدِ كلِّ جُنْدِىٍّ حَرْبـةٌ فى طَرفِهـا سِلاحٌ مِن الصُّلْبِ لامِعٌ مَصقولٌ ، مُرَكَّبٌ عَلَى عُودٍ من الخشب طَويلٍ مرِن . وَثِيَابُ كلِّ جُنْدِىٍّ جِلدُ حيوانٍ مَلفوفٌ حوْلَ وسَطِه . وكان للملكِ جِلدُ الأسدِ ، ولِلوزيرِ جِلدُ النَّمرِ ، وللبَاقينَ جُلودُ حَيوانَاتٍ مُختلفةٍ . أما الأَوْسِمَةُ والتَّاجُ فمن عُقُودٍ مِن الوَدَعِ والخرزِ مُنَظَّمةٍ فى أشْكالٍ مختلفةٍ .

السلطان معجب بشجاعة همام

والْتفتَ السلطانُ إلَى أكْبَرِ جُنودِه وَسَأَلهُ عن الأسيرَيْنِ ، فتقَدَّمَ كبيرُ الجنُودِ إليه ، وهَزَّ رُمْحَهُ بين يَديه ، ثم قَصَّ عليه قِصتَّهُمَا . وهنا الْتفَتَ السُّلطَان ونَظرَ بِغَضَب ، وقال : « لماذا يزورُ هذا المِصرىُّ بلادَنا ؟ خُذوه غداً إلى السُّوقِ ، وبيعُوهُ لِمن يُريدُ أن يَسْتَخْدِمَه . أمّا صاحِبُهُ الأسودُ فاذْبحوهُ لِخيانَتِه لنا ، وإخْبارِه المصرىَّ بأَسْرارِ بلادِنا » .

كان همامٌ قد تعلَّمَ مِن قَبْلُ لُغَتَهُمْ ، ففَهِمَ كلامَ السُّلطَانِ ، وَتقَدَّم إليه قائلا : « أيُّها السُّلطَانُ الْعَظِيمُ ! لا تَبِعْنى واجْعَلْنى خادِماً لك ؛ فإنِّى أَنْفَعُكَ ، وإنِّى قادِرٌ عَلَى كَشْفِ الْكَنزِ المخبُوءِ فى غارِ الْجَبلِ عِندَكم ، فَدعْنى أذهَب فى طَريقى ، فإن كَشَفْتُ الْكنْزَ فهو لِلسُّلطَانِ ، ولا آخذ مِنه إلّا ما يَسْمَحُ لى به .

فقال السلطان : « أيُّهَا الشابُّ المغرورُ إن هذا الْكنزَ

مسحورٌ ، والْجِنّ تحرُسُه ، ولنْ يستَطيعَ أحَدٌ أن يَصِلَ إليه » . فقال هَمامٌ « دَعْنى وشَريكى نَذهَبَ إليه ، فإن لم نَكْشِفْهُ فاقْتُلْنا ، وَدَمُنا حَلالٌ لك » .

سَمِعَ السُّلطان هذا الكلامَ فَلَمْ يُصَدِّقْ هماما تماماً ، ولكنه طمِعَ فى الْكَنز ، وأراد أن يُجرِّبَ قول همامٍ ، فقال : « خُذوا الأسيرَين واحْفَظوهما اللَّيلة ، وسننْظر غَدًا فى أمْرِهما » .

فَرِحَ الرجُلُ الأسودُ بهذا الكلامِ جدًّا ، وقالَ لهمامٍ : « هذه هى المرَّةُ الثانيةُ التى تُخَلِّصُنى فيها من الموت ، فأنا لا أُفارِقُكَ أبداً . ولا أتركُ خِدْمتكَ مُدّةَ حياتى » .

وأخَذوهما إلى كوخٍ مِن الخشبِ ، وفكُّوا قُيودَهما ، وسلَّموا إليهما أَمْتِعَتَهُمَا ، وَبَقِىَ على بابِ الكوخِ جُنْديانِ بحِرابهما يحْرُسانِهمَا خَوْفاً مِنْ أَنْ يَفِرَّا وَيَهْرُبَا .

قال الرجلُ الأسودُ وهو فَرْحانُ : أمّا هذِهِ اللَّيْلة يا

سيِّدى فإنَّا لا نَحْتَاجُ إلى حِراسَةِ أَنْفُسِنَا ، فَدَعْنِى أَنَمِ اللَّيْلَ كلّه ، وَعَلَى الجنديين حِراسَتُنَا .

فأَجابَه هَمامٌ : « لا يا رَفيقِى ! بل يَجبُ أن نَحْرُسَ أَنْفُسَنَا كما تَعوَّدنا ، فنَمِ الآنَ أنْتَ وسأُوقِظُكَ عِند نِصْفِ اللَّيْلِ » . وفى لَحْظَةٍ نَام الرجلُ الأَسْود نَوْمًا عميقاً ، وهمامٌ مُتيَقِّظٌ ، فإذا الحارِسانِ قد فرَّا وهرَبَا فى سُكوتٍ ، وتَسلَّقَا شجرةً قَرِيبَةً ، وأرادَ همامٌ أن يَعْرِفَ سَبَبَ هَرَبِهما ، فنَظر حوْل الكُوخِ ، فوجدَ أَسَداً يَسيرُ إليه ، يَمشى مُتَأَنِّياً ، وقد رَماهُ أحدُ الحارسَينِ بِرُمْحِه ، فوقَعَ فى الأَرْضِ خَلْفَهُ قريباً من ذَنَبِه ، ولم يَلتَفِت الأسدُ إليه ، بل سارَ فى طَرِيقِه إلى الكُوخِ ، ولما صارَ قريباً مِنه كان همامٌ قد أعدَّ مُسدَّسَه ، ورمى الأسدَ فى وَسَطِ رأسِه ، فزأَر زئيراً مُزْعِجاً ، ثم ارْتَمى عَلَى الأَرْض .

تيقَّظَ الرجل الأسْودُ مِنْ نوْمِه ، ونزَل الحارِسانِ من

أعْلى الشَّجَرةِ ، وتَعجَّبَ الجميعُ مِنْ شجاعة همامٍ ، فإنّ الأسدَ فى هذه البِلاد هو أقْوى عدُوٍّ ، وأَشدُّ حيوانٍ .

وَعِندَ الصَّباحِ عِلمَ السلطانُ بالْقِصَّةِ ، وفرح بقَتْلِ الأسد ، وعلمَ شجاعةَ همامٍ ، وَطَمِعَ فى أن يكشِفَ له الكَنزَ ، فدعاهُ ورفيقَه ، وَقال له : « عِلِمْتُ شجاعَتكَ أيُّهَا المِصرِىُّ ، وسأُرْسِلكَ لِتكْشِفَ الكنـزَ ، وَأُرْسِلُ معك جَيشاً مِنْ جُندِى يُساعِدُك ويُرشِدُك إلى الطّرِيق » .

سارَ الأسيرانِ حُرَّيْنِ ، وَصارَ هَمامٌ قائدَ جَيشٍ من جُنودِ السُّلطان ، وتَقَدَّموا جَميعاً حتى وَصَلوا إلى جبَلٍ عالٍ ، فيه مَغَارةٌ واسِعةٌ هى مغارةُ الكَنزِ . وَعِند أوَّلِ الجبلِ قال الجنودُ لهَمام : « تقدَّمْ أنت ورَفيقُك ، أما نحنُ فسنبقَى نِا » . وَحذَّرُوهُ أن يتقدَّمَ قائِلين : « إن كلَّ مَن تَقَدَّمَ وحاوَلَ كَشْفَ الكَنزِ هَلَك ، ومـاتَ ، وللكَنـزِ حُرَّاسٌ مِن الْجِنِّ ، وعِنده أسَدٌ أَبْيضُ أقوى أسودِ هذه

الْبلادِ ، فَتَقَدَّمْ وَحْدَكَ إذا شئت » .

تَقَدَّمَ فى الْجبلِ همام مَعَ رَفيقِه الأسْودِ ، وَسارا فى الطَّرِيق الذى وَصَفوهُ . وبَعْدَ مسافةٍ نَظَرا فرأَيا بَابَ غارٍ واسِعٍ ، وَعِندَه صفَّانِ من الجنودِ فى أيديهم الأسلِحة . وَهُنَا خافَ الرفيقُ الأسودُ وارْتَعبَ : وقال : « يا سَيِّدى همامُ ! هذا جيْشُ الجانِّ مُسْتَعِدٌّ لِمُقَابَلتِنَا » .

أَمَّا همامٌ فلم يُصَدِّقْ ، وَتقدّمَ و كان معهُ مِنظارٌ مُعَظِّم ، فأخرَجَهُ وَنظَرَ به ، فَوَجَد أَنَّ هذينِ الصَّفَّينِ . هَيَاكلُ جُنودٍ ، فدعا صاحبَه الأَسْود ، وجعَلَه يَنظُر بالْمِنْظَارِ الْمُكبِّر ، ويرى هذه الهياكلَ . ولمَّا رآها لم تزدْهُ رُؤيتُها إلَّا خوْفًا ورُعباً . وَجَمَد فى مكانِه كأنَّه هيْكلٌ .

ظنَّ هَمامٌ أنَّ هذِهِ الهياكِلَ هِى هياكِلُ الجيشِ الَّذى أَحْضَرَ الكَنزَ وخَبَّأَهُ ، وأَنّ الملكَ صاحِبَ الكَنزِ أرادَ أَلَّا يَرجِعَ مِنهم أحَدٌ يُخبِرُ النَّاسَ بِمكانِ الكَنـز ، فقتَلهُـمْ

بالسُّمِّ ، وأبقاهم هكذا يُخِيفون الناسَ ، فيَحْرسونَ الكَنز وهم أمواتٌ .

فتقدَّم همامٌ وحدَهُ إلى الغارِ ، فتبيَّنَ له أنَّ ظنَّه كان صادِقًا ، وَنَظرَ فرأَى أسدًا كَبيراً أبيضَ الشَّعْر ، رَابضاً فى الغارِ ، فلم يَجِدْ هَمامٌ مِن حِيلَةٍ إلَّا أنْ وَقَفَ بِجَانِبِ هَيْكلٍ من الهياكِلِ القَائِمةِ وامتنَع مِن الحركةِ ، حتى صارَ كأنَّه واحدٌ مِن الهياكِلِ . وبعد مُدةٍ طويلةٍ تحرَّكَ الأسدُ وسار خارجاً من الغار حتَّى كان عِند البابِ بِجوارِ هَمامٍ ، وهو يَمْشى مُطْمئِنًّا مُتَمَهِّلًا كعادةِ الأُسُودِ .

ولما صارَ جِسْمُ الأَسدِ بِجِوارِ هَمامٍ وثَبَ هَمامٌ وَثْبةً واحِدةً سريعةً ، وركِبَ عُنُقَ الأسد ، وقَبَضَ على شَعرِهِ وعُنُقِهِ بكلِّ قُوَّةٍ .

أمَّا الأسدُ فإنه لما أحسَّ ذلك جَرى وأسرع وهمامٌ على عنُقِه ، وظَهر الأسدُ وهمامٌ لجيشِ السُّلطانِ ، فقالوا :

« هلكَ هَمامٌ » وعادوا بخَبَرِه إلى سُلطانِهم . أَمَّا همامٌ فقد قَبَضَ بيدٍ على شَعْرِ الأسَدِ ، وسحبَ بالأُخرَى قذَّافتَه الصَّغيرةَ من جَيْبِه ، ورَمَى الأسدَ فى رأْسِهِ فوقع ميِّتاً .

ثم نزلَ همامٌ ، وتَقَدَّم فى الجبل حتى رَأَى رفيقَهُ الأَسْودَ مُخْتبِئاً تحت صَخْرةٍ وهو يرْتَجِفُ مِن الخوفِ ، فقال له : « اطْمَئِن ، فقد قَتَلْتُ الأسد ، وكشَفْتُ الكَنْز » .

وعادَ همامٌ ورفيقه إلى السُّلطانِ ، فلمَّا رآهُ دَهِشَ لِأَنَّ الجندَ أَخبروه أنَّ الأَسد أَكَلَهُ ، ولمَّا قصَّ عليه الحكايةَ تعَجَّبَ كلَّ العَجَب من شجاعتِه وجَراءَتِه ، وقُوَّةِ قلْبه ، وعظَّمهُ وَأحبَّهُ كثيراً .

حِينئذٍ قال همام للسُّلطان : « وَعَدْتكَ أن أكْشِفَ الكَنْزَ ، وأن أَضَعَهُ بين يديك ، ولا آخذَ مِنه إلَّا ما تسْمَحُ لِى به.وها هو ذا الكَنزُ تحتَ أَمْرِك » .

فقال السُّلطان : بل تأخُذ أنتَ ما تشاءُ ، وتحمِلُ

ما تَسْتَطِيعُ مِن الكَنزِ ، ونُرْسلُ معك جيشاً مِن جُنودِنا يَحْرُسُكَ حتَّى تَصِلَ إلى طريقِكَ المأْمون » .

كان عِيداً عظيماً عِند السُّلطانِ ورَعِيَّته ذلِك اليومُ الَّذى كُشِفَ فيه الكَنْزُ . أمَّا العِيدُ الأكبرُ عِندَ همام فإنَّه كان يومَ رجعَ إلى وَطَنِه ، ومعَهُ الذَّخائِرُ الكثيرةُ يَعْرِضُهَا فى مُتْحَفِ الوطن ، وعِنْدَهُ أخْبارُ هذهِ الرِّحْلةِ العَظِيمة ، وأنباؤُها الغريبةُ يكتبها فِى الصحف ، ويؤلِّف فيها الكتب ، ويَخْطُبُ بها فى المجتمعاتِ ، لِيُعَلِّمَ قومَهُ فَوائِدَ الارتحال ؛ ويُصَوِّرَ لهُم العَظَمَةَ الَّتى يَكْتَسِبُهَا الإِنْسَانُ إذا عاشَ جَرِيئاً شُجاعاً .

مكتبة الطفل

للأستاذ محمد عطية الأبراشى

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٧٥ قرشا